وعلم آدم الأسماء

تحت هذا العنوان قرأت في مقتطف يونيو سنة ١٩٤٥ الأغر رد الدكتور توفيق صادق صليط على مقالي الدكتور احمد زكي بك في الهلال في اللغات التي تصلح أو لا تصلح أن تكون واسطة تفاهم بين الشعوب جميعها .

أنا لم يسعدني الحظ بالاطلاع على مقالي الدكتور زكي بك ولكن يفهم من الرد المشار إليه بأنه يفضل اللغة الانكليزية على غيرها رغم صعوبتها الشاقة وشذوذها — ولا أقول الكثير إذ ما هي إلا شذوذ بشذوذ — ويدعو الى المناداة بها لغة عالمية . وله لتأييد دعوته هذه ولا شك حجج وبراهين .

فيعارضه الدكتور صليط ويسعى جهده كله على مبايعة اللغة التركية معدداً مناقبها وحسناتها دون أن يعثر أو يشاء أن يعثر بسيئة لها أو عورة .

وقد يتقدم غداً الكثيرون — أو قد تقدموا — وكل يدلل باللغة التي يمتلك زمامها ويتعشقها ويدعو الى تتويجها ملكة على كل اللغات كما أتقدم أنا الآن — ولي المام ببسيط ببعض اللغات — لأقول :

البحث شائق جليل ومقاصد الدكتورين سامية نبيلة لشدة احتياج العالم الى لغة عامة يتفاهم بها . ولكن رغم هذا الجلال وهذا النبل وهذه الحاجة الماسة فلا أمل باتفاق العالم على الأخذ بلغة طبعت بطابع أمة ما وجعلها عالمية ولو كانت هذه اللغة من الفصاحة والبلاغة والسهولة والضبط في الذروة . ولذلك أسباب قد يحسبها البعض سخيفة واهية ويعدها البعض الآخر قيمة معقولة . ومثل ذلك مثل الحلة المترية على ما بينها وبين اللغة من البون الشاسع .

ألا ترواكيف أن بعض الأمم تحجم وتترفع عن الأخذ بالحلة المترية هذه وهي على

ما هي عليه من الاتقان والابداع والسهولة ؟ ولماذا؟ أترك الجواب لكل حسب استنتاجه وأسأل :

أفي الأخذ بها شر أو عار وهي تفوق غيرها من نوعها ؟ .

أمن خوف على الآخذين بها من التخلق بأخلاق موجديها ولا صبغة فلسفية تصبغها أو رائحة نظرية اجتماعية تنبعث منها ؟ إذ ما هي إلاّ أدوات جامدة باردة مبنية على حقائق علمية رياضية مشاع للجميع .

أما اللغة فهي خلاف ذلك إذ هي صورة الأمة التي تتكلمها وروحها الخفيف الظل أو ثقيله لأنها جبلة من أخلاقها ونسيج من شعورها وحسها . وهي مقياس رقيها وانحطاطها ومظهر من مظاهر سلطتها وسطوتها .

أيمكننا والحالة هذه أن نأمل إتفاق العالم على اتخاذ لغة أمة ما وجعلها عالمية ؟ .

أليس بذلك اعتراف صارخ بأنها أرق وأفضل وأسهل وأوفى و . . . و . . . . من غيرها ؟

أليس بذلك الشيء الكثير من النفع والفضل للأمة التي تحصل على العالم بلغتها ؟

أليس بذلك جعل هذه الأمة مطمح الأنظار ولغويها المرجع الأعلى — ولو الى أمد قصير — عند الاشكال فيما يتعلق بهذه اللغة ؟

أليس بذلك شيء من التخلق بأخلاق هذه الامة ولو كان أثره ضئيلاً ؟ .

***

قد يعترض أحدهم بأن ما هذا إلاّ وهم وغلوّ ويندد بالمكابرة والتعنت ويدعو الى نبذها والى الاقرار بالافضل ولو كان لعدوّنا . ويجهد نفسه كي يبرهن أن لا حاجة لنا بالاخذ بروح اللغة وآدابها بل بحيا كل كلماتها الباردة . وكل أمة تنفخ فيها من روحها فتنعشها وتحييها دون أن تغير من معانيها .

انها لنظرة قد يراها بعض الناس جميلة فيقرها ويراها البعض الآخر قبيحة فينبذها . وللناس في الناس نظرات وشؤون .

فالأقرب الى الصواب إذن والأسهل منالاً هو الأخذ بالاسبرنتو لأنها لم توسم بطابع وطني ما ولم تتعلق بأخلاق إحدى الامم ولأنها سهلة لا شذوذ فيها ولا تعقد فيتبناها العالم

ويعطف عليها ويقدم لها اللغويون غذاءها من خير ما تفيض به أدمغتهم فتنمو وتزدهر وتغمر العالم بظلها الوارف .

وقد اعترض عليها الدكتور صليبا في رده الذي أشرنا اليه بأنها قاصرة عن القيام بالغاية المنشودة وتحتاج صقلها الى مئات السنين . فأجيبه بأن قصورها هذا هو من خير مؤهلاتها لتكون اللغة المطلوبة اذ تبتلع بشره وتهضم بسهولة كل ما يقدم اليها من الكلمات المنتقاة بنزاهة وعفة .

ولا يحتاج الى الوقت الطويل — كما يتوهم البعض — في تجهيز هذه اللغة واعدادها لتكون كافية وافية بالغرض المطلوب اذا ما صفت نيات الدول وقامت قومة واحدة الى انشاء مؤسسة عامة يرسل اليها من جميع أنحاء العالم بأوسع اللغويين اطلاعاً وأقومهم أخلاقاً وأسماهم مقاصداً وأكثرهم حباً للسلام والتعاون . وليكن لدول المحور نصيبها في هذا الـعمل الخطير ليكون النفع أعم ، والغاية أسمى ، لا تعوزها شائبة حقد ، أو عداوة . لا ان يقوم بذلك بضعة من الرجال تعد على أصابع اليد الواحدة كما يفعلون أحياناً بمقدرات العالم .

وفي عملهم هذا من الغبن والاجحاف ما لا يعمى عنه ذو بصيرة وإن تعامت عنه — لأمر ما — دول الأرض قاطبة . ويجب الحذر من السياسيين والدبلوماسيين والحيلولة بينهم وبين هذه المؤسسة اذا ماكان يرغب حقاً في نجاحها .

وعلى هذه المؤسسة أن تختار أفضل الكلمات وأنسبها دون ما نظر الى وطن أو اقليم أو دولة تمتلك هذه الكلمة أو تقاوم تلك .

***

واللغة مهما كان لها من فوائد وحسنات فهي غير كفيلة وحدها بمنع الحروب . والحروب كثيرة بين دول تتكلم لغة واحدة . إذن يجب على هذه المؤسسة أن يكون لها هدف ثان أسمى من اعداد لغة عالمية ألا وهو توحيد التعليم والثقافة بكتب واحدة وبلغة واحدة في جميع أنحاء المعمور لانشاء عقلية سليمة وان لم تكن واحدة لتعذر ذلك فعلى الأقل لتكون متشابهة متقاربة . واذا تقاربت العقليات السليمة تشابه التفكير السليم وشعر بضرورة التعاون ونبذ

الاسلام وروضت المتحول على الاخلاق القويمة فيسهل سن دستور اقتصادي عالمي كفيل برفع مستوى المعيشة فالرفاهية فالسلام الحقيقي لا السلام المسلح القائم على رءوس الحراب وأفواه المدافع ، السلام المزيف الذي يقسم الانسانية فئتين فئة قاهرة وفئة مقهورة مكبلة وبين الفئتين هوة عميقة من الحقد والبغضاء ، والويل للانسانية ، عندما تتفجر مراجل الحقد والبغضاء .

ويجب أن تعم منعاً باتاً تدريس تواريخ الحروب وفتوحها على حالتها الحاضر والاكتفاء باظهارها بمظهرها الحقيقي الوحشي على الاجيال المقبلة تربى على كره الحروب والابتعاد عنها وتسمو عن الثورة التي تتحكم فيها الانسانية اليوم ، ثورة الخداع والمراوغة وانتهاكها حرمات الشعوب الآمنة ، والتستر وراء براقع صفيقة من العقود والمواثيق ، يقيد الضعيف بها ، والقوي في حل منها ، اذا لم يكن له في تنفيذها منافع ومآرب .

ويجب على جميع الدول أن تتقيد بصدق واخلاص بهذه التعاليم السامية والثقافة الموحدة وبالامتناع عن التعليم بلغاتها الخاصة فيما يتعارض مع ذلك .

وبينما ينتظر العالم بفارغ صبر من حكامه ومصلحيه الاتفاق ، للوصول الى هذه الضالة المنشودة أستحث قادة الرأي في البلدان العربية والمستعربة على انشاء مؤسسة تأخذ على عاتقها ، بالاتفاق مع وزارات معارفنا واقتصادنا توحيد الثقافة والاقتصاديات في شرقنا المتنابذ ، فنسير قدماً الى التعاون الحقيقي ، فالاتحاد الاقتصادي والسياسي ونصهر في بوتقة واحدة ، فنؤلف كتلة واحدة صلبة ، تتحطم عليها أنياب تعمل الآن في نهشنا وتمزيقنا .

***

وعندما يتملص العالم — وهو صائر الى ذلك — من نير الدول المستعمرة وجشع أرباب معامل السلاح والدمار والرأسمالية المجرمة ، يهون عليه القيام بهذا المشروع الجبار ، مشروع اقرار لغة عالمية واحدة ، وثقافة سنية واحدة ، ويكون لنا كلمة قوية راجحة ، ويد طولى في ذلك ، ورأي مسموع ، وسعي مشكور والسلام

ميناس ريانا — برازيل ميشيل صوايا